باب التوجيه[١]

ويُقال الإبهام؛ وهو أن يأتيَ الكلام محتملاً لوجهين مختلفين كقوله:

وَيَرْغَبُ أَنْ يَبْنِي المَعَالِيَ خَالِدًا وَيَرْغَبُ أَنْ يُرْضِي صَنِيعَ الأَلَائِمِ

فإن جعلت الرغبة الأولى مقدَّرة بـ "في" كان مدحًا، وبـ "عن" كان ذمًّا، وإن جعلت الثانية مقدرة بـ "عن" كان ذمًّا، وبـ "في" كان مدحًا.

وكقول بعضهم للمأمون في تهنئة بعروس:

يَا إِمَامَ الهُدَى ظَفِرْ تَ ولكِنْ بِبِنْتِ مِنْ

وقول آخرَ في خيَّاط أعورَ اسمُه زيد[٢]:

خَاطَ لِي زَيْدٌ قُبَاءْ لَيْتَ عَيْنَيْهِ سَوَاءْ

فلا يُدْرَى ببنت مَنْ في الضَّعة أو الرِّفعة، أو الصحيحة تساوي العوراء أو العكس؟

وقول ابن حجَّام:

أَنَا ابْنُ مَنْ دَانَتِ الرِّقَابُ لَهُ مِنْ بَيْنِ مَخْزُومِهَا وَهَاشِمِهَا

تَأْتِيهِ طَوْعًا إِلَيْهِ خَاضِعَةً يَأْخُذُ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دَمِهَا

فهذه أوصافٌ تصلح للملوك وللحجَّام.

---

(١) هو أنْ يؤتَى بكلامٍ يحتملُ معنيينِ متضادينِ على السواءِ كهجاءٍ، ومديحٍ، ودعاءٍ للمخاطبِ، أودعاء عليه، ليبلغَ القائلُ غرضَه بما لا يمسكُ عليه.

انظر: زهر الأكم في الأمثال و الحكم (٢٠٨/١) وتحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (١٢٢/١) والإيضاح في علوم البلاغة (١١٩/١) ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص (٢٩٥/١-٢٠١) وجواهر البلاغة للهاشمي (١٦/١) وعلم البلاغة الشيرازي (٦/١).

(٢) انظر: زهر الأكم في الأمثال و الحكم (٢٣٧/١) والعقد الفريد (٣٤٦/٢) والإيضاح في علوم البلاغة (١١٩/١) ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص (٢٩٤/١) وكتاب الكليات ـ لأبى البقاء الكفومى (٢٥/١).

وقول ابن طباخ:

أَنَا ابْنُ الَّذِي لا تَنْزِلُ الأَرْضَ قِدْرُهُ وَإِنْ نَزَلَتْ يَوْمًا فَسَوْفَ تَعُودُ

تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ فَمِنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا وَقُعُودُ

فهذه تصلح للحاتم، وللطبَّاخ.

ومنه حديث: "مَن جُعِل قاضيًا فقد ذُبِح بغير سِكِّين"[(١)]؛ أي: لما يتحمَّله من المشاقِّ لوفاء الحقوق، وهذا مدح، أو لما يقع فيه مِن الظُّلم وهذا ذمٌّ.

قال السَّكَّاكي: ومنه متشابهات القرآن.

[الفرقُ بين التوريةِ والتوجيهِ[(٢)]:

ا-التوريةُ: تكونُ في لفظٍ واحدٍ.وأمَّا التوجيهُ: فيكونُ في تركيبٍ.

ب- التوريةُ: يقصدُ المتكلِّم بها معنًى واحداً: هو البعيد.والتوجيهُ: لا يترجحُ فيه أحدُ المعنيينِ على الآخرَ].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٩٨/٣، رقم ٣٥٧٢)، وابن ماجه (٧٧٤/٢، ٢٣٠٨)، والحاكم (١٠٣/٤، رقم ٧٠١٨) وقال: صحيح الإسناد. وأخرجه البيهقى (٩٦/١٠، رقم ٢٠٠٠٥). وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (٤٩١/١١، رقم ٦٦١٣)، والدارقطنى (٢٠٤/٤، رقم ٧) والنسائى فى الكبرى (٤٦٢/٣، رقم ٥٩٢٣) والطبرانى فى الأوسط (١٢٣/٣، رقم ٢٦٧٨) وابن عدى (٢٢٢/١، ترجمة ٦١ إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى).

(٢) انظر: جواهر البلاغة للهاشمي (١٦/١).

باب الهجاء في معرض المدح

وهو أن يأتي بألفاظ ظاهرُها المدح وباطنُها القدح، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، فهذا من أمثلة ورود الذمّ في صورة المدح.

وكقول الشاعر في بعض الأشراف:

لَهُ حَقٌّ ولَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ ... ومَهْمَا قَالَ فالحَسَنُ الجَمِيلُ

وقَدْ كَانَ الرَّسُولُ يَرَى حُقُوقًا ... عَلَيْهِ لِغَيْرِهِ وَهْوَ الرَّسُولُ

وقول بعضهم في أبي تمَّام - وقد كان في لسانه لُكنة-:

يَا نَبِيَّ اللَّهِ فِي الشِّعْ ... رِ وَيَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمْ

أَنْتَ مِنْ أَشْعَرِ خَلْقِ الْ ... لَهِ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ

وقوله:

لَوْ شَاءَ مِنْ رِقَّةِ أَلْفَاظِهِ ... أَلَّفَ مَا بَيْنَ الهُدَى والضَّلالْ

يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ رُبَّمَا ... قَادَ إِلَى المَهْجُورِ طَيْفَ الخَيَالْ

وأمَّا ورود المدح في صورة الذم، فكقولهم: أخزاه الله ما أشعرَه! ولعنه ما أفصحَه! وذكر ابن جني أنَّ أعرابيًّا رأى ثوبًا فقال: ما له مَحَقَه الله! قال: فقلت له: لِمَ تقول هذا؟! فقال: إنَّا إذا استحسنَّا شيئًا دعَوْنا عليه، وأصل هذا أنَّهم يكرهون أن يمدحوا الشيء فيصيبوه بالعين! فيعدِلوا من مدحه إلى ذمّه، والحاصل أنَّ المدح قد يخرج مخرجَ الذمّ، والذم قد يخرج مخرجَ المدح.

باب التهكم

وهو الإتيان بلفظ البِشارة في موضع الإنذار، والوعد مكان الوعيد، والمدح في معرض الاستهزاء، كقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨]، وقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان:٤٩]، وقوله: ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٩٣]، فإيمانكم تهكُّم.

وقول ابن الرومي:

فَيَا لَهُ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يَرْفَعُهُ اللَّهُ إِلَى أَسْفَلِ

والفرق بين التهكُّم والهجاء في معرض المدح: أنَّ التهكُّمَ لا تخلو ألفاظه من لفظة تدلُّ على الذمّ، أو لفظة يفهم مِن فحْواها الهجو، بخلاف الهجاء، فإنَّ ألفاظ المدح لا يقع فيها شيءٌ من ذلك، كذا قيل.

والشماتة: هي إظهار المسرَّة بمن أُصيب كقوله - تعالى -: ﴿ذُقْ﴾ فلفظة "ذق" شماتة، والباقي تهكُّم، والشماتة المحْضة قوله لفرعون: ﴿ءَالآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١].

والهزل الذي يُراد به الجِدُّ: هو أن يقصد المتكلِّم مدحَ إنسان أو ذمَّه، بتخريج ذلك مخرجَ الهزل المعجب، والمجون المطرب، كما حُكِي عن أشعب أنَّه حضر بمكَّة وليمةً لبخيل ثلاثة أيَّام، وفي المائدة جِدْي مشوي لا يمسُّه أحد؛ لعِلمهم ببخله، فقال أشعب في اليوم الثالث: زوجتُه طالق إن لم يكن عمر هذا الجِدي بعد أن ذُبِح وشُوي أطولَ منه قبل ذلك، فهو كلامٌ ظاهره الهزل، ومراده به الجِد.

وكقوله:

إِذَا مَا تَمِيمِيٌّ أَتَاكَ مُفَاخِرًا فَقُلْ عَدِّ عَنْ ذَا كَيْفَ أَكْلُكَ لِلضَّبِّ؟!

وقوله:

أَرْقِيكَ أَرْقِيكَ بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَا مِنْ بُخْلِ نَفْسِكَ عَلَّ اللَّهَ يَشْفِيكَا
مَا سَلْمُ كَفِّكَ إِلاَّ مَنْ يُتَارِكُهَا وَلا عَدُوُّكَ إِلاَّ مَنْ يُرَجِّيكَا

وقوله:

وَقَدْ عَلِمَتْ سَلْمَى وإِنْ كَانَ بَعْلُهَا بِأَنَّ الفَتَى يَهْذِي وَلَيْسَ بِفَعَّالِ

والفرق بينه وبين التهكُّم: أنَّ التهك ظاهره جِدٌّ، وباطنه هزل، وهذا ظاهره هزل، وباطنه جِد.

obeikandi.com

باب النزاهة

وتختصُّ غالبًا بالهجاء، وهي عبارةٌ عن نزاهة الألفاظ عن الفُحش، قال أبو عمرو بن العلاء وقد سُئل عن أحسن الهجاء: هو الَّذي إذا أنشدتْه العذراءُ في خِدرها لا يقبح عليها، مثل قول جرير:

لَوْ أَنَّ تَغْلِبَ جَمَّعَتْ أَحْسَابَهَا يَوْمَ التَّفَاخُرِ لَمْ تَزِنْ مِثْقَالا

ونحوه:

مَوَدَّةٌ ذَهَبَتْ أَثْمَارُهَا شَبَهٌ وَهِمَّةٌ جَوْهَرٌ مَعْرُوفُهَا عَرَضُ

نحوه:

أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّ القَوْمَ بُغْيَتُهُمْ فِي رَبَّةِ العُودِ لا فِي رَنَّةِ العُودِ

وكقوله تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ الآية [النور: ٥٠]، فانظر إلى مضاضةِ هذه الألفاظ ونزاهتها عن الفُحش.

باب الكناية[١]

وهي أن يُعبر عن المعنى القبيح باللَّفظ الحسن، وعن الفاحش بالطَّاهر؛ كقوله تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] كناية عن الحَدَث، ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ [المائدة: ٦] كناية عن قضاء الحاجة، وقوله: ﴿وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة: ٢٣٥] كناية عن الجماع، وقوله: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ [النور: ٢٦]، والمراد الزُّناة.

ولا تجد معنًى من هذه المعاني في القرآن إلاَّ بلفظ الكناية؛ لأنَّ المعنى الفاحش متى عبِّر بلفظه الموضوع له كان الكلامُ معيبًا من جهة فُحش المعنى، وكقول مَن هجا شخصًا به داءُ الأسد، فكنى عنه، ورمى أمَّه بالفجور بطريق الكناية:

---

(١) الكناية لغة: ما يتكلمُ به الإنسانُ، ويريد به غيره، وهي: مصدر كنيت، أو كنوت بكذا، عن كذا، إذا تركت التصريح به.

واصطلاحاً: لفظٌ أريد به غيرُ معناهُ الذي وضعَ له، مع جواز إرادةِ المعنى الأصليّ، لعدم وجود قرينةٍ مانعة من إرادته، نحو: « زيدٌ طويل النجادُ » تريد بهذا التركيب أنه شجاعٌ عظيم، فعدلت عن التصريح بهذه الصفة، إلى الإشارة إليها بشيءٍ تترتب عليه وتلزمه، لأنه يلزم من طول حمالةِ السيف طولُ صاحبه، ويلزم من طول الجسمِ الشجاعةُ عادةً، فإذاً: المراد طولُ قامته، وإنْ لم يكن له نجادٌ، ومع ذلك يصحُّ أن يراد المعنى الحقيقيّ، ومن هنا يعلَمُ أنَّ الفرقَ بين الكناية والمجاز صحةُ إرادةِ المعنى الأصليّ في الكناية، دون المجازِ، فإنه ينافي ذلك، نعم: قد تمتنعُ إرادةُ المعنى الأصليّ في الكناية، لخصوصِ الموضوعِ كقوله تعالى: (وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) [الزمر:٦٧]، وكقوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [طه:٥] كنايةٌ عن تمام القدرةِ، وقوةِ التمكُّنِ والاستيلاءِ.

انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (١/١٠٤) و جواهر البلاغة للهاشمي (١/١٤) والمعجم الوسيط (٢/٥٢٠).

أَرَادَ أَبُـوكَ أُمَّـكَ حِـينَ زُفَّـتِ فَلَـمْ تُوجَـدْ لأُمِّـكَ بِنْـتُ سَـعْدِ
أَخُـو لَخَـمٍ أَعَـارَكَ مِنْـه ثَوْبًـا هَنِيئًـا بِـالقَمِيصِ المُسْـتَجِدِّ

بنت سعد: العذرة، وأخو لخم: هو الجذام.

وقوله في حجَّام:

إِذَا عَـوَّجَ الكُتَّـابُ يَوْمًـا سُـطُورَهُمْ فَلَـيْسَ بِمُعْـوَجٍّ لَـهُ أَبَـدًا سَـطْر

ومن مليح الكناية قول بعض العرب:

أَلا يَـا نَخْلَـةً مِـنْ ذَاتِ عِـرْقٍ عَلَيْـكِ وَرَحْمَـةُ اللهِ السَّـلامُ
سَـأَلْتُ النَّـاسَ عَنْـكِ فَخَبَّرُونِـي هَنَـا مِـنَ ذَاكَ يَكْرَهُـهُ الكِـرَامُ
ولَـيْسَ بِمَـا أَحَـلَّ اللهُ بَـأْس إِذَا هُـوَ لَـمْ يُخَالِطْـهُ الحَـرَام

كنى بالنَّخلة عن المرأة، وبـ "الهَن" عن الرَّفث، لكن من عادة العرب الكناية بِـ "هَن" عن مثل ذلك، وأمَّا الكناية بالنَّخلة عن المرأة، فمن ظريف الكناية وغريبها.

باب التورية[١]

ويُقال لها: الإيهام والتوجيه والتخييل، والتورية أولى، مصدر ورَّيت الخبر توريةً، إذا سترته وأظهرت غيره.

وفي الاصطلاح: أن يذكر المتكلِّم لفظًا مفردًا له معنيان حقيقيان، أو حقيقة ومجاز، أحدهما قريب والآخَرُ بعيد، فيريد المتكلِّم المعنى البعيد، ويورِّي عنه بالمعنى القريب، فيتوهَّم السامع أنَّه يريد القريب، وليس كذلك، قال الزمخشري: ولا نَرى بابًا في البيان أدقَّ ولا ألطفَ من هذا الباب، ولا أنفع منه، ولا أعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى وكلام رسوله، وكلام أصحابه، وذلك كقوله عليه السلام في مجيئه إلى بدر، وقيل له مِمَّن أنتم؟ فلم يُرِدْ أن يُعلِم السائل، فقال: "مِن ماء"، فورَّى بقبيلة من العرب يُقال لها: ماء، وأراد: أنا مخلوقٌ من ماء.

وكقول الصِّديق في الهجرة، وقد سُئِل عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم مَن هذا؟ فقال: هادٍ يَهديني، فورَّى عنه بهادي الطَّريق، وأراد هاديًا يَهديني للإسلام[٢].

---

(١) لغةً: مصدرٌ، ورّيتُ الخبرَ توريةً: إذا سترتُه، وأظهرتُ غيره.

واصطلاحاً: هي أن يذكُرَ المتكلمُ لفظاً مفرداً له معنيان؛ أحدهُما قريبٌ غيرُ مقصودٍ ودلالةُ اللفظِ عليه ظاهرةٌ، والآخرُ بعيدٌ مقصودٌ، ودلالةُ اللفظِ عليه خَفِيَّةٌ، فيتوهَّمُ السَّامعُ: أنه يُريدُ المعنَى القريبَ، وهو إنَّما يُريدُ المعنى البعيدَ بقرينةٍ تشيرُ إليه ولا تُظهرُه، وتسترُه عن غير المتيقظِ الفطِنِ،كقوله تعالى:(وَهُوَ الذي يَتَوَفّاكُم بالليْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بالنَّهَارِ) [سورة الأنعام، الآية: ٦٠]، أراد بقوله جرحتم معناهُ البعيدُ، وهو ارتكابُ الذنوبِ، ولأجلِ هذا سُمِّيتِ التَّوريةُ إيهاماً وتخييلاً.

انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (١/٩٦و١١٣) وجواهر البلاغة للهاشمي (١/١٥).

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة (٦/٣٢٩، رقم ٣١٨١٢).

وكقول عليٍّ في الأشعث بن قيس: وهذا كان أبوه ينسج الشمال باليمين؛ لأنَّ قيسًا كان يحوك الشِّمال التي واحدها شملة[١].

وأقسام التورية أربعة، وفي التلخيص ضربان:

١- مجرَّدة[٢]: وهي التي لا تجامع شيئًا ممَّا يلائم المعنى القريب، نحو: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] أراد باستوى معناه البعيد، وهو استولى، ولم يُقرنْ به شيءٌ ممَّا يلائم المعنى القريب، الذي هو الاستقرار كالجلوس والاضطجاع.

٢- مرشحة:[٣] وهي التي تجامع شيئًا ممَّا يلائم المعنى القريب، نحو: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧].

أراد بالأيدي معناها البعيد وهو القدرة، وقرن بها ما يلائم المعنى القريب الذي هو الجارحة المخصوصة، وهو قوله بنيناها؛ لأنَّ البناء يلائم اليد.

والتحقيق أنَّ الأقسام أربعة:

١- المجرَّدة: وهي التي لم يُذكر لها لازمٌ من لوازم المورَّى به، ولا لازم من لوازم المورَّى عنه كقول القاضي عياض في صيفية باردة:

كَأَنَّ كَانُونَ أَهْدَى مِنْ مَلابِسِهِ لِشَهْرِ تَمُّوزَ أَنْوَاعًا مِنَ الحُلَلِ

---

(١) انظر: غريب الحديث لابن الجوزي ١/٥٦١.

(٢) وهي التي لم تقترنْ بما يلائمُ المعنيين: كقول الخليل لما سأله الجبار عن زوجته: فقال «هذه أختي» - أراد أخوةَ الدِّينِ، وكقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ) [الأنعام:٦٠] يريدُ بجرحتم المعاصي.

(٣) هي التي اقترنتْ بما يلائمُ المعنى القريبَ، وسميتْ بذلك لتقويتِها به، لأنَّ القريبَ غيرُ مراد، فكأنهُ ضعيفٌ، فإذا ذكر لازمُه تقوَّى به، نحو قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [سورة الذاريات: ٤٧]، فإنه يحتمل (الجارحةَ) وهو القريبُ، وقد ذكر من لوازمه البنيانُ على وجهِ الترشيحِ، ويحتمل (القدرةَ) وهو البعيدُ المقصودُ.

أَوِ الغَزَالَةُ مِنْ طُولِ المَدَى خَرِفَتْ فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الجَدْيِ والحَمَلِ

فالغزالة تطلق على الحيوان المعروف، وهو المعنى القريب المورَّى به، وعلى الشَّمس، وهو المعنى البعيد المورَّى عنه؛ وهو المراد، ولم يُذكر في البيت شيءٌ من لوازم المورَّى به، كطول العنق وحسن الالتفات، ولا من لوازم المورَّى عنه كالإشراق والطُّلوع والغروب، والجدي والحمل يُطلقان على الحيوان المعروف؛ وهو المعنى القريب المورَّى به، وعلى بُرجين في السَّماء معروفين؛ وهو المعنى المورَّى عنه، ولم يُذكر شيءٌ من لوازم المورى به كالرَّعْي، ولا من لوازم المورَّى عنه كالسَّير في السماء، فوقعت التورية مجرَّدة.

ومنها ما ذُكر معها لازمُ المورى به ولازم المورى عنه، كقوله:

يَا حَبَّذَا زَمَنُ الرَّبِيعِ وَرَوْضُهُ وَنَسِيمُهُ الخَفَّاقُ بِالأَغْصَانِ

زَمَنٌ يُرِيكَ النَّجْمَ فِيهِ يَانِعًا وَالشَّمْسُ كَالدِّينَار فِي المِيزَان

فالميزان يحتمل السَّابع من بروج السَّماء، وقد ذكر من لوازمه الشمس؛ وهو المعنى القريب، ويحتمل ميزان الذهب، وقد ذكر من لوازمه الدِّينار؛ وهو المعنى البعيد المورَّى عنه، فلمَّا ذُكر لهذا لازم، ولهذا لازم كانا كالبينتين المتكافئتين فتعارضَا وتساقطَا، فصارتِ التورية مجرَّدة.

٢- الثاني: التورية المرشَّحة: وهي المقرونة بلازم المورى به، لا المورى عنه، واللازم تارة يتقدَّم، وتارة يتأخَّر، كقوله:

تَوَلَّتْ وَجَاءَتْ بِشِعْرِيَّةٍ حَلالِي بِهَا الوَزْنُ وَالقَافِيَهْ

وَرَاحَتْ كَشَمْسِ الضُّحَى تَجْتَلِي بِمِيزَانِهَا وَالسَّمَا صَافِيَه

فالشِّعرية يراد بها الميزان، وهو المعنى القريب المورَّى به، وذكر من لوازمه على جهة الترشيح الوزن، ويُراد بها غشاء الوجه للمرأة، وهو المعنى البعيد المورَّى عنه؛ وهو المراد، ولم يُذكر من لوازمه شيءٌ، ومنها:

تَــوَلَّى بَــاخِلاً بِالوَصْــلِ تِيهًــا عَلَــى عُشَّــاقِهِ وَرَنَــا كَــرِيمْ
وَقَــالَ وَقَــدْ رَأَى دَمْعِــي حَمِيمًــا لَقَــدْ أَصْــبَحْتَ صَــبًّا ذَا حَمِــيمْ

فالحميم يُراد به الماء الحار، وهو المعنى القريب المورَّى به، وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح الدَّمع، ويُراد به الصَّدِيق، وهو المعنى البعيد المورَّى عنه، ولم يُذكر من لوازمه شيءٌ.

٣- الثالث: التورية المبيَّنة: وهي المقرونة بلازم المورَّى عنه، لا المورَّى به؛ ولذلك سُمِّيت المبيَّنة، كقوله:

لَقَــدْ حَفِظَــتْ بَنُــو الأَيَّــامِ عَهْــدِي كَحِفْــظِ الــرِّيحِ أَجْــزَاءَ الرَّمَــادِ
وَكَــمْ عَــيْنٍ صَــرَفْنَاهَا فَكَانَــتْ مُسَــاعِدَةً عَلَــى نَيْــلِ المُــرَاد

فعين يحتمل الذَّهب، وهو المعنى البعيد المورَّى عنه؛ وهو المراد، وقد ذكر من لوازمه على جهة التبيين الصَّرف، ويحتمل عين الجارحة، وهو المعنى القريب المورَّى به، ولم يُذكر شيءٌ من لوازمه، ومنها:

وَلَمَّــا هَــاجَ لِــي تِــذْكَارُ لَيْلَــى وَأَكْنَــافُ الحِجَــازِ سَــنَا البُــرُوقِ
تَبَسَّــمَ بُغْيَتِــي لَــيْلاً فَلاحَــتْ ثَنِيَّــاتُ العُــذَيْبِ مَــعَ العَقِيــقِ

فالثنيات والعذيب والعقيق تحتمل الأماكنَ الثلاثة من أودية الحِجاز، وهو المعنى القريب المورَّى به، ولم يُذكر شيءٌ من لوازمه، ويحتمل: ثنيات الثغر، والعذيب الريق، والعقيق حمرة الشفتين، واللاَّزم تبسم، ومنها:

أَيُّهَــا المُــنْكِحُ الثُّرَيَّــا سُــهَيْلاً عَمْــرَكَ اللَّهُ كَيْــفَ يَجْتَمِعَــانِ
هِــيَ شَــامِيَّةٌ إِذَا مَــا اسْــتَقَلَّتْ وَسُــهَيْلٌ إِذا اسْــتَقَلَّ يَمَــانِي

قاله عمر بن أبي ربيعة في صاحبته الثريا من ولد تيم بن عبد مناف؛ لمَّا تزوَّجها سهيل ابن عبدالرحمن بن عوف أحد العشرة، وأمُّه من قبيلة باليمن فنسبه إليها، فالثريا وسهيل يُراد بهما النَّجم، وهو المعنى القريب المورَّى به،

ويراد بهما الشخص؛ وهو المعنى البعيد المطلوب المورَّى عنه، واللازم قوله المنكح.

٤- الرَّابع: التورية المهيِّئة: وهي ما وقعت فيها التهيئة للمورَّى به، لا المورى عنه، كقوله:

لِلَّهِ عَصْرُ الرَّبِيعِ المُشْتَهَى فَلَكَمْ جَاءَتْ مِنَ السُّحْبِ في آيَاتِهِ زُمَرُ
عَصْرٌ بِهِ تَغْتَدِي الأَطْيَارُ صَادِحَةً وَالنَّجْمُ يُزْهِرُ لَمَّا يُورِقُ الشَّجَرُ

فالنجم يحتمل النبات، وهو المعنى القريب المورى به، وقد ذكر له الشجر، ولولا ذكره بَعْدُ ما تنبه السامع للنبات، ولكن بذكره تهيَّأت التورية، ويحتمل الكوكب، وهو المعنى البعيد المورَّى عنه؛ وهو المراد، ولم يذكر له شيء، ومنها:

رَاحَتْ ظُعُونُهُمُ تَحْدُو بِكَاعِبَةٍ تَغَارُ مِنْهَا لَدَى الظَّلْمَاءِ أَقْمَارُ
ما أَنْجَدُوا بَلْ تَوَلَّوْا مُتْهِمِينَ بِهِ يَا لَيْتَهُمْ أَنْعَمُوا مِنْ بَعْدِ مَا غَارُوا

يُقال لِمَن خيَّم بنجد أنجد، ولِمَن حلَّ بتهامة أتهم، ولمن ارتبع بنعمان أنعم، و لمن ضرب بالغور غار، فقوله: "متهمين" يحتمل دخولهم تهامة، وهو المعنى القريب المورَّى به، ويحتمل التهمة، وهو المعنى البعيد المورَّى عنه؛ وهو المراد، ولو لم يتقدَّم "متهمين ما أنجدوا" ما تهيَّأت التورية في متهمين، ولم يفهم منها إلاَّ معنى التُّهمة، فلمَّا ذكر ما يُفهم منه دخول نجد تهيَّأت التورية في متهمين، وقوله: "غاروا" يحتمل دخوله غورة تهامة، وهو المعنى القريب المورى به، ويحتمل الغيرة أو الإغارة، ولو لم يذكر ما يفهم منه دخولُ نعمان، ما تهيَّأت في "غاروا".

ومنها ما تهيَّأت فيه التورية بين لفظين، لولا كلُّ واحد منهما لَمَا تهيَّأت التورية في الآخَرِ، كقوله:

مُذْ غَدَا الكَلْبُ صَائِدًا ظَبْيَةَ الحِقْـ ـفِ وَلاقَتْ بَعْدَ النَّعِيمِ نَكَالَهْ

قُلْتُ أَيُّ الزَّمَانِ مِثْلُ زَمَانٍ فِيهِ تَلْقَى العَوَّاءَ فَوْقَ الغَزَالَهْ

فالعوَّاء يحتمل الكوكب، وهو المعنى القريب المورى به، ويحتمل الكلب، وهو المعنى البعيد المورى عنه؛ وهو المراد، ولولا ذِكْرُه العواء المشترك بين اسم الكوكب والكلب ما فُهِم معنى اسم الغزالة المشترك بين الشمس والحيوان، وكذلك لولا ذِكْر الغزالة ما فُهِم اسم العواء، فلم تتهيَّأ التورية في كلِّ واحد منهما، إلاَّ بذِكْر الآخر.

تنبيهات:

الأول: أنَّه ليس كلُّ لفظ مشترك بين معنيين يُتصوَّر فيه التورية، وإنما تُتصوَّر حيثُ يكون المعنيان ظاهرين، إلاَّ أنَّ أحدهما أسبقُ إلى الفَهْم من الآخر، وهذا يختلف باختلاف الأماكن والعُرْف، وبحسب اللوازم المبينة والمرشحة.

الثاني: التورية المهيِّئة أعمُّ من المجرَّدة؛ لأنَّه كلَّما وُجِدت المهيِّئة وُجِدت المجرَّدة، ولا عكس؛ لأنَّ المجرَّدة قد تكون في لفظ واحد لا يتعلَّق بغيره.

الثالث: الفرْق بين اللَّفظ الذي يهيئ، واللَّفظ الذي يرشح أو يبين؛ هو أنَّ اللَّفظ الذي وقعت فيه التهيِّئة، لو لم يذكر لم يكن ثَمَّ تورية، والمرشح والمبين إنَّما هما مقومان للتورية، فلو فُقِدَا لكانت التورية موجودة.

الرابع: اللُّغز، والفرق بينه وبين التورية: أنَّ لفظ التورية يكون المعنى المراد منه مدلولاً عليه باللَّفظ؛ حقيقةً كان أو مجازًا، والمعنى المراد من اللُّغز لا يدلُّ عليه اللَّفظ بحقيقة ولا مجاز، ولا يكون من عوارض ذلك اللَّفظ، وإنَّما هو أمر يُدرك بالحدس، وتتفاوت فيه الأفهام بحسب التمرين والاعتياد، فكمْ مَن يكون أقوى النَّاس ذِهنًا، وهو بطيء في استخراجه؛ لقلَّة اعتياده، وكم من هو بالعكس، مأخوذ من اللّغز: وهو الطَّريق الذي يلتوي،

ويُشكِل على سالكه، كقوله في كتاب:

وَمَا رَوْضَةٌ يَجْنِي اللَّبِيبُ ثِمَارَهَا ... وَذُو الجَهْلِ مِنْها لا يَنَالُ سِوَى الوَرَقْ
زَكَا غَرْسُهَا فِي غَيْرِ أَرْضٍ وَزَهْرُهَا ... إِذَا مَا سُقِي مَاءً تَمَزَّقَ وانْخرَقْ

وقوله في إبرة:

سَعَتْ ذَاتُ سَمٍّ فِي قَمِيصِي فَغَادَرَتْ ... بِهِ أَثَرًا وَاللَّهُ شَافٍ مِنَ السُّمِّ
كَسَتْ قَيْصَرًا ثَوْبَ الجَمَالِ وَتُبَّعًا ... وَكِسْرَى وَعَادَتْ وَهْيَ عَارِيَةُ الجِسْمِ

وقوله في الأيام والليالي:

وَمَا مُقْبِلاتٌ مُدْبِراتٌ تَشَابَهَتْ ... مُفَرَّقَةُ الأَسْمَاءِ واللَّوْنُ وَاحِدُ
يُصَادَفُ فِي أَطْوَارِهِنَّ حَلاوَةٌ ... وَمِنْهُنَّ مُرَّاتٌ وسُخْنٌ وبَارِدُ

وقوله في الشمعة:

وَرَائِقُ اللَّوْنِ مُسْتَحَبٌّ ... يَجْمَعُ أَوْصَافَ كُلِّ صَبّْ
سُهَادُ عَيْنٍ وَسَكْبُ دَمْعِ ... وذَوْبُ جِسْمٍ، وَحَرُّ قَلْبْ

باب التمثيل

وهو أن يريد المتكلِّم معنًى ما، فلا يدلُّ عليه بلفظه الموضوع له، ولا بلفظ قريب من لفظه، بل بلفظ يصلح أن يكون مثالاً للفظ المعنى المراد كقوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠]؛ أي: هلك مَن قُضي هلاكُه، ونجا مَن قُدِّرت نجاته، وإنَّما عدل عن اللفظ الخاص إلى التمثيل؛ لأمرين: اختصار اللفظ، وكون الهلاك والنجاة كانَا بأمرٍ آمرٍ مطاع.

ولحديث أمِّ زرع: "زوجي ليل تهامة، فلا حَرٌّ، ولا بَرْدٌ، ولا خامة ولا سآمة"[1]، فإنَّها أرادت وصْفَه بحُسن العِشرة مع نسائه، فعدلت عن لفظ التمثيل؛ لِمَا فيه من الزِّيادة لتمثيلها الممدوحَ بليل تهامة، الذي صِفتُه بأنَّه معتدل، فتضمن ذلك وصف الممدوح باعتدال المزاج المستلزم: حسن الخُلق، وكمال الخَلق، وكمال العقل المنتج لِين الجانب وطِيب المعاشرة، وحذفت أداة التَّشبيه؛ ليقربَ المشبَّه من المشبَّه به، وهذا ممَّا يُبيِّن لك لفظ التمثيل في كونه لا يجيء إلاَّ مقدَّرًا بمثل غالبًا، وكقول الرماح بن ميادة:

أَلَمْ أَكُ فِي يُمْنَى يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي ... فَلا تَجْعَلَنِّي بَعْدَهَا فِي شِمَالِكَا

أراد أن يقول:

ألم أكن قريبًا منك؟! فلا تجعلني بعيدًا عنك، فَعَدل عنه إلى لفظ التمثيل، لِمَا فيه من الزِّيادة في المعنى؛ لِمَا يعطيه لفظتا اليمين والشِّمال من الأوصاف؛ لأنَّ اليمين أشدُّ قوة، معدَّة للطعام والشراب، والأخذ والعطاء، وكل ما شَرُف، والشِّمال بالعكس، واليمين مشتق من اليمن وهو البركة، والشِّمال من الشؤم، فكأنَّه قال: ألم أكن مكرمًا عندك فلا تجعلني مهانًا! وكنت منك في المكان الشريف! فلا تجعلني في الوضيع.

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

ويُلحق بالتمثيل ما خرج مخرج المثل السَّائر، كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، وكقول النابغة:

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لا تَلُمُّهُ عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجَالِ المُهَذَّبُ؟!

وقول بشار:

فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً ومُجَانِبُهُ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى القَذَى ظَمِئْتَ وَأَيُّ المَاءِ تَصْفُو مَشَارِبُه

باب الإفراط في الصفة ويسمى:

المبالغة[١]

وهو أن يُدَّعى لوصف بلوغُه في الشِّدة أو الضعف حدًّا مستحيلاً أو مستبعدًا؛ خوفَ توهُّم السامع أنَّ الموصوف قاصرٌ في تلك الصِّفة.

وهي ثلاثة أقسام:

١- تبليغ[٢].

٢- وإغراق[٣].

٣- وغلو[١].

---

(١) هي أن يدَّعيَ المتكلّمُ لوصف، بُلوغُهُ في الشدةِ أو الضعف حداً مستبعداً، أو مستحيلاً،

انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (١/١١٦) وجواهر البلاغة للهاشمي (١/١٦).

(٢) إن كان ذلك الادّعاء للوصف من الشدة أو الضعف ممكناً عقلاً وعادةً، نحو قوله تعالى: ﴿... ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا..﴾ [سورة النور:٤٠]

وكقول الشاعر في وصف فرسٍ:

إذا ما سابقَتها الرّيحُ فرّتْ وأبقَتْ في يدِ الرّيح التّرابا

وكقول امرئ القيس يصف فرساً:

فَعَادَى عِداءً بَيْنَ ثَوْرٍ ونَعْجَةٍ دِرَاكاً ولَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ

وصف هذا الفرسَ بأنه أدركَ ثوراً وبقرة وحشيينِ في مضمار واحد ولم يعرقْ وذلك غيرُ ممتنع عقلاً ولا عادةً.

(٣) إنْ كانَ الادّعاءُ للوصفِ من الشدّة أو الضعفِ ممكناً عقلاً، لا عادةً – كقول الشاعر:

ونُكْرِمُ جارَنا ما دامَ فينا ونُتْبِعُهُ الكرامَةَ حَيْثُ مالا

فإنه ادَّعى أنَّ جاره لا يميلُ عنه إلى جهةٍ إلا وهو يتبعُه الكرامةَ، وهذا ممتنعٌ عادةً وإنْ كانَ غيرِ ممتنعٍ عقلاً، وهما مقبولانِ.

لأنَّ الصفة المبالغ فيها إمَّا أن تمكن عقلاً وعادة؛ وهو التبليغ، أو عقلاً لا عادة؛ وهو الإغراق، أو لا عقلاً ولا عادة؛ وهو الغلو، وأصل الإغراق في الزَّرع، والغلو بعد الرَّمية بالسهم بقدر الإمكان، ولَمَّا كان الخروج من الحقِّ إلى الباطل يشبه خروج هذه الرَّمية عن الحدِّ سُمِّي غلوًّا.

وقد اختُلف في المبالغة: فقوم يَرَوْنها من محاسن هذا الفن؛ لقولهم: أحسنُ الشِّعر أكذبُه، وخير الكلام ما بولغ فيه، وقوم يَرَوْنها من عيوب الكلام، ولا يرون من محاسنه إلاَّ ما خرج مخرجَ الصِّدق، واحتجُّوا بقول حسان رضي الله عنه:

وَإِنَّمَا الشِّعْرُ لُبُّ المَرْءِ يَعْرِضُهُ ... عَلَى المَجَالِسِ إِنْ كَيْسًا وَإِنْ حُمُقَا

وَإِنَّ أَشْعَرَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ ... بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقَا

وذلك كقول طَرَفة:

لَعَمْرُكَ إِنَّ المَوْتَ مَا أَخْطَأَ الفَتَى ... لَكَالطِّوَلِ المُرْخَى وَثِنْيَاهُ فِي اليَدِ

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً ... وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

والصواب أنَّ المبالغة من المحاسن، لوقوعها في مواضعَ من القرآن، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، مع قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]، وكقوله سبحانه: "كلُّ عمل ابن آدمَ له إلاَّ الصَّوْم، فإنَّه لي وأنا أجزي به"[٢]، فهذا لقصد المبالغة في

=

(١) إنْ كانَ الادعاءُ للوصفِ من الشدةِ أو الضعف مستحيلاً عقلاً وعادةً – كقول الشاعر:

تكادُ قِسيهُ منْ غيرِ رامٍ ... تُمكِّنُ في قلوبهِم النِّبالا

(٢) أخرجه البخارى (٢/٦٧٠، رقم ١٧٩٥)، ومسلم (٢/٨٠٧ رقم ١١٥١)، والنسائى (٤/١٦٢ رقم ٢٢١٣ عن أبى سعيد، ٢٢١٤ عن أبى هريرة) وابن خزيمة (٣/١٩٨، رقم ١٩٠٠). وأخرجه أيضًا: ابن أبى شيبة (٢/٢٧٢، رقم ٨٨٩٣)..

تعظيمه وتشريفه، وإلاَّ فالأعمال كلُّها لله، باعتبار قصد وجهه بها، وللعبد باعتبار ثوابه عليها، فالتبليغ والإغراق مقبولان.

فالتبليغ كقوله:

وَرَامٍ كَبَدْرٍ حَلَّ بِالقَوْسِ لَمْ يَزَلْ لأَسْهُمِهِ فِي القَلْبِ مِنِّي مَوْقِعُ
وَأَلْحَاظُهُ مِنْ مُرْسَلاتِ نِبَالِهِ إِلَى مُهَجِ العُشَّاقِ أَمْضَي وَأَسْرَعُ

وصف المعشوق الرَّامي بالقوس أنَّ نِبال ألحاظِه أمضى وأسرع إلى مهج عشاقه مِن نِبال قوسه، وهذا غير مستحيل عقلاً وعادةً، في كون اللَّحظ أمضى، وأسرع من مَرِّ السهم.

والإغراق كقوله:

وَمِنْ سَقَمِي أَنِّي كَسِلْكِ نِظَامَةٍ لآلِئِ دُرٍّ مِن مَوَاقِعِهَا الحَدُّ
فَلَوْ عَطَفَتْ لَيْلَى عَلَيَّ وَأَنْعَمَتْ بِضَمٍّ لَظَنَّ الجِيدُ أَنِّي لَهُ عِقْدُ

فالجسم النحيل من فرط المحبَّة، حتى صار كالسِّلك الذي ينظم فيه الدُّرُّ يستحيل عادةً لا عقلاً.

والغلو أقسام:

مقرون بكاد ونحوها، ومبني على تخييل حسن، وخارج مخرجَ الهزل والخلاعة، وكلُّ ذلك مقبول وسواه لا، كقوله:

وَغَادَةٍ رَاحَ ظَبْيُ القَاعِ مُخْتَلِسًا أَلْحَاظَهَا وَسَنَاهَا الشَّمْسُ وَالقَمَرُ
فَلَوْ أَمَرَّتْ عَلَى صَخْرٍ أَنَامِلَهَا لَكَادَ مِنْ وَجْدِهِ يَسْعَى لَهَا الحَجَرُ

سعيه ليس بممكن عادةً وعقلاً، ولكن لَمَّا قرن بكاد قَبِلَه العقل، وكقوله:

لَمَّا سَرَوْا لَيْلاً بِلَيْلَى بَغْتَةً وَأَصَابَنِي سَهْمُ النَّوَى فَتَمَكَّنَا
جَمَّدْتُ مِنْ نَارِ الغَرَامِ مَدَامِعًا لَوْ رُمْتُ مِنْهَا نَظْمَ عِقْدٍ أَمْكَنَا

فالتخييل هو تجميد الدَّمع بواسطة نار الغرام، وتشبيه الدَّمع بالدُّر.

وكقوله:

أَسْكَرُ بِالأَمْسِ إِنْ عَزَمْتُ عَلى الشْـ ـــشُرْبِ غَـــدًا إِنَّ ذَا مِـــنَ العَجَـــبِ

وكقوله:

وَأَخَفْـتَ أَهْـلَ الشِّـرْكِ حَتَّـى إِنَّـهُ لَتَخَافُـكَ النُّطَـفُ التـي لَـمْ تُخْلَـقِ

وهذا ممتنع عقلاً وعادة.

obeikandl.com

باب حسن التعليل[١]

وهو أن يُدَّعى لوصف علَّة مناسبة له، باعتبارٍ لطيف غير حقيقيّ، كقوله:

وَلَوْ لَمْ تُصَافِحْ رِجْلُهَا صَفْحَةَ الثَّرَى لَمَا كُنْتُ أَدْرِي عِلَّةً لِلتَّيَمُّمِ

وقوله:

سَأَلْتُ الأَرْضَ لِمْ جُعِلَتْ مُصَلًّى وَلِمْ كَانَتْ لَنَا طُهْرًا وَطِيبَا
فَقَالَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ لأَنِّي حَوَيْتُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ حَبِيبَا

والوصف المعلَّل في هذا الباب أربعة:

١- ثابت خفيُّ العِلَّة.

٢- وثابت ظاهرُ العِلَّة.

٣- وغير ثابت ممكن.

٤- وغير ثابت غير ممكن، كقوله:

لَمْ يَحْكِ نَائِلَكَ السَّحَابُ وإِنَّمَا حُمَّتْ بِهِ فَصَبِيبُهَا الرُّحَضَاءُ

---

(١) هو أن ينكرَ الأديبُ صراحةً، أو ضمناً، علةَ الشيءِ المعروفةِ، ويأتي بعلةٍ أخرى أدبيةٍ طريفةٍ، لها اعتبارٌ لطيفٌ، ومشتملةٌ على دقةِ النظرِ، بحيثُ تناسبُ الغرضَ الذي يرمي إليه، يعني أنَّ الأديبَ: يدّعي لوصفٍ علّةً مناسبةً غيرَ حقيقيةٍ، ولكنَّ فيها حسناً وطرافةً، فيزداد بها المعنى المرادُ الذي يرمي إليه جمالاً وشرفاً،كقول المعري في الرثاء:

وما كلْفةُ البَدْر المُنير قديمةً ولكنها في وجْههِ أثرُ اللَّطم

يقصدُ: أنَّ الحزنَ على (المرثي) شملَ كثيراً من مظاهر الكون، فهو لذلك: يدَّعي أنَّ كُلفة البدر (وهي ما يظهر على وجهه من كُدرة) ليستْ ناشئةً عن سبب طبيعيّ، وإنما هي حادثةٌ من (أثر اللطم على فراقِ المرثي).

انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (١/١١٧) ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص (١/٢٦٠-٢٧٥) وكتاب الكليات ـ لأبى البقاء الكفومى (١/٦٤٥) والبلاغة الواضحة (١/٩) وجواهر البلاغة للهاشمي (١/١٥).

وقوله[1]:

مَـا بِـهِ قَتْـلُ أَعَادِيـهِ وَلَكِـنْ يَتَّقِـي إِخْـلافَ مَـا تَرْجُـو الـذِّئَابْ

فإنَّ قتل الأعداء في العادة لِدفع مضرَّتِهم، لا لِمَا ذَكَره.

وكقول مسلم بن الوليد:

يَـا وَاشِـيًا حَسُـنَتْ فِينَـا إِسَـاءَتُهُ نَجَّـى حِـذَارُكَ إِنْسَـانِي مِـنَ الغَـرَقِ

وقوله:

لَـوْ لَـمْ تَكُـنْ نِيَّـةُ الجَـوْزَاءِ خِدْمَتَـهُ لَمَـا رَأَيْـتَ عَلَيْهَـا عِقْـدَ مُنْتَطِـقِ

وأُلحق به ما بُني على الشكِّ، كقول أبي تمَّام:

رُبَّـى شَـفَعَتْ رِيـحُ الصَّـبَا بِنَسِـيمِهَا إِلَـى الغَيْـثِ حَتَّـى جَادَهَـا وَهْـوَ هَـامِعُ

كَـأَنَّ السَّـحَابَ الغُـرَّ غَيَّـبْنَ تَحْتَهَـا حَبِيبًـا فَمَـا تَرْقَـى لَهُـنَّ مَـدَامِعُ

جعل عِلَّة دوام مطر السَّحاب على هذه الرُّبى كونَ الحبيب دفن تحتها، ومِثْلُ بيت مسلم بن الوليد بيتُ ابن سناء الملك:

عَلَّمَتْنِـي بِهَجْرِهَـا الصَّـبْرَ عَنْهَـا فَهْـيَ مَشْـكُورَةٌ عَلَـى التَّقْبِـيحِ

وقول القائل:

أَعْتَقَنِـي سُـوءُ مَـا صَـنَعْتَ مِـنَ الـرِّ رِقِّ فَيَـا بَرْدَهَـا عَلَـى كَبِـدِي

فَصِـرْتُ عَبْـدًا لِلسُّـوءِ فِيـكَ وَمَـا أَحْسَـنَ سُـوءٌ قَبْلِـي إِلَـى أَحَـدِ

---

(١) انظر: شرح ديوان المتنبي (١/١١٤) ونهاية الأرب في فنون الأدب (٢/٣٠١) وتراجم شعراء موقع أدب (٤٧/٣٨٥)و الإيضاح في علوم البلاغة (١/١١٧) ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص (١/٢٦٠) وجواهر البلاغة للهاشمي (١/١٥) وعلم البلاغة الشيرازي (١/٦).

باب تأكيد المدح بما يشبه الذم[١]

وبهذا سمَّاه عبدالله بن المعتز؛ لأنَّه لَمَّا كان مبنيًّا على مبالغة المدح قيل تأكيد المدح، ولَمَّا كان بعد الاستثناء يُوهِم الذَّمَّ قيل بما يشبه الذَّم، وهو ضربان:

أفضلهما: أن تستثني من صفةِ ذمٍّ منفية عن الشيء صفةَ مدح، وكأداة الاستثناء حرفُ الاستدراك، كقول النابغة الذبياني[٢]:

وَلا عَيْبَ فِيهِم غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ

وكقوله:

وَمَا لِيَ ذَنْبٌ غَيْرَ أَنِّي أُحِبُّهُ وَمَا فِيه مِنْ عَيْبٍ سِوَى وَرْدِ خَدِّهِ

---

(١) انظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (١/١٣) ونهاية الأرب في فنون الأدب (٢/٣٠٣) والإيضاح في علوم البلاغة (١/١١٨) ومفتاح العلوم (١/١٨٥) ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص (١/٢٨٣و٢٨٥ و٣٩٢) وجواهر البلاغة للهاشمي (١/١٦) والبلاغة الواضحة (١/٩) وعلم البلاغة الشيرازي (١/٦).

(٢) انظر: أمثال العرب (١/١٧٠) وزهر الأكم في الأمثال و الحكم (١/١٢٤) والأمثال لابن سلام (١/١٩) وشرح ديوان المتنبي (١/٢٠٩) والبديع في نقد الشعر (١/٢٦) وشرح أدب الكاتب (١/٤٨) والعمدة في محاسن الشعر وآدابه (١/١٢٥) والحماسة البصرية (١/٥١) ومحاضرات الأدباء (١/١٣٥) وسر الفصاحة (١/٩٤) والإيضاح في علوم البلاغة (١/١١٨)

أي إن كان فلول السيف من قراع الكتائب من قبيل العيب فأثبت شيئاً من العيب على تقدير أن فلول السيف منه وذلك محال فهو في المعنى تعليق بالمحال، كقولهم: حتى يبيض الفار، فالتأكيد فيه من وجهين أحدهما أنه كدعوى الشيء ببينة، والثاني أن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلاً فإذا نطق المتكلم بألا أو نحوها توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن ما يأتي بعدها مخرج مما قبلها فيكون شيء من صفة الذم ثابتاً وهذا ذم، فإذا أتت بعدها صفة مدح تأكد المدح لكونه مدحاً على مدح وإن كان فيه نوع من الخلابة.

وَلا فِيهِ مِنْ شَيْءٍ يَشِينُ صِفَاتِهِ سِوى سِحْرِ عَيْنَيْهِ وَقَامَةِ قَدِّهِ
وَلا شَاقَنِي إلاَّ تَجَنِّيهِ عَامِدًا وَلا ضَرَّنِي إلاَّ بِتَطْوِيلِ صَدِّهِ

والثاني: أن تثبت لشيء صفة، ويعقب بأداة استثناء تَليها صفةُ مدح أخرى؛ كقول النابغة الجعدي[1]:

فَتًى كَمُلَتْ أَخلاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَلا يُبْقِي مِنَ المَالِ بَاقِيَا
فَتًى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الأَعَادِيَا

وقوله[2]:

هُوَ البَدْرُ إلاَّ أَنَّهُ البَحْرُ زَاخِرٌ سِوَى أَنَّهُ الضِّرْغَامُ لَكِنَّهُ الوَبْلُ

ومنه تأكيد الذَّمّ بما يُشبه المدح: وهو قسمان، كما مرَّ نحو: زيد ظالم، إلاَّ أنَّه يُكثر الكذب، ولا خيرَ في زيد، إلاَّ أنَّه يُخلف الوعد، وكقوله:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَهوَى تَهَيَّأْ مُصَابِرًا لِعَذْلِ عَذُولٍ فِي المَحَبَّةِ مَارِقِ
وَوَاشٍ كَكَلْبٍ نَابِحٍ غَيْرَ أَنَّهُ كَذُوبٌ لَهُ فِعْلٌ كَفِعْلِ المُنَافِقِ

---

(١) انظر: شرح ديوان المتنبي (١/٢٨٩) والبديع في نقد الشعر (١/٢٦) والعمدة في محاسن الشعر وآدابه (١/١٢٥) ولباب الآداب للثعالبي (١/٤١) وزهر الآداب وثمر الألباب (١/٣٨٤) وسر الفصاحة (١/٩٤) وتحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (١/١٣) والشعر والشعراء (١/٥٧) والإيضاح في علوم البلاغة (١/١١٨).

(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (١/١١٨) ومفتاح العلوم (١/١٨٥) ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص (١/٢٨٤).

باب القول بالموجب

ويسمَّى: الاستدراك؛ وهو تخصيص الصِّفة بعد أن كان ظاهرها العموم، وبكسر الجيم؛ لأنَّ المرادَ به الصِّفة الموجِبة للحكم، فهو اسم فاعل، ويحتمل فتح الجيم إنْ أُريد به الحُكم الذي أوجبته الصِّفة، وهو من محسّنات الكلام، كقوله:

وَإِخْوَانٍ تَخِذْتُهُمُ دُرُوعًا ... فَكَانُوهَا وَلَكِنْ لِلأَعَادِي
وَخِلْتُهُمُ سِهَامًا صَائِبَاتٍ ... فَكَانُوهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي
وَقَالُوا قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ ... وَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ مِنْ وِدَادِي

وكقوله في مَن أودعت عنده وديعة، فادَّعى ضياعها:

إِنْ قَالَ قَدْ ضَاعَتْ فَيَصْدُقُ أَنَّهَا ... ضَاعَتْ وَلَكِنْ مِنْكَ يَعْنِي لَوْ تَعِي
أَوْ قَالَ قَدْ وَقَعَتْ فَيَصْدُقُ أَنَّهَا ... وَقَعَتْ وَلَكِنْ مِنْهُ أَحْسَنَ مَوْقِعِ

والقَسَم والدُّعاء من المحسّنات للكلام، كقول ابن المعتز:

لا وَالَّذِي سَلَّ مِنْ جَفْنَيْهِ سَيْفَ رَدًى ... قُدَّتْ لَهُ مِنْ غَدَائِرٍ حَمَائِلُهُ
مَا صَارَمَتْ مُقْلَتِي دَمْعًا وَلا وَصَلَتْ ... غُمْضًا وَلا سَالَمَتْ قَلْبِي بَلابِلُهُ

وكقوله:

جَنَى وَتَجَنَّى وَالفُؤَادُ يُطِيعُهُ ... فَلا ذَاقَ مَنْ يَجْنِي عَلَيَّ كَمَا يَجْنِي
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي كَعَيْنِي وَمَسْمَعِي ... فَلا نَظَرَتْ عَيْنِي وَلا سَمِعَتْ أُذْنِي

باب تجاهل العارف[١]

ويسمَّى الإعنات، وهو أن يسأل المتكلِّم عن شيءٍ يعرِفُه سؤالَ مَن لا يعرفه تَجاهُلاً منه؛ للمبالغة في مدْح، أو ذم، أو تعظيم، أو تحقير، أو تدله، كقوله:

غَزَانِي بِلَحْظَيْهِ وَلِينِ قَوَامِهِ ... وَأَسْكَرَنِي مِنْ مَرْشَفَيْهِ رَحِيقُهُ

فَحِرْتُ فَلا أَدْرِي أَرُمْحٌ قَوَامُهُ ... أَمِ السَّيْفُ عَيْنَاهُ أَمِ الخَمْرُ رِيقُهُ؟!

وقوله:

وَإِنِّي لَسْتُ أَدْرِي مِنْ غَرَامِي ... أَإِنْسَانٌ عَذُولِي أَمْ حِمَارُ؟!!

وقوله:

بَدَا فَرَاعَ فُؤَادِي حُسْنُ صُورَتِهِ ... فَقُلْتُ هَلْ مَلِكٌ ذَا الشَّخْصُ أَمْ مَلَكُ؟!

وقوله[٢]:

وَمَا أَدْرِي وَلَسْتُ إِخَالُ أَدْرِي ... أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ؟!

وقوله:

بِاللَّهِ يَا ظَبَيَاتِ القَاعِ قُلْنَ لَنَا ... لَيْلايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ البَشَرِ؟!

---

(١) هو سُؤَالُ المتكلِّمِ عما يعلمُه حقيقةً، تجاهلاً لنُكتةٍ، كالتَّوبيخ، نحو قول الشاعر:

يا شجَرَ الخابورِ ما لكَ مُورِقاً ... كأنك لم تَجْزَعْ على ابنِ طَرِيفِ

أو المبالغةِ في المدحِ، كقول البحتري:

أَلَمْعُ بَرْقٍ سَرَى أَمْ ضَوْءُ مِصْبَاحِ ... أَمِ ابْتِسَامَتُهَا بِالمَنْظَرِ الضَّاحِي

انظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (١٣/١) ونهاية الأرب في فنون الأدب (٣٠٣/٢) والإيضاح في علوم البلاغة (١٢٠/١) والبديع لابن المعتز (١٦/١) وكتاب الكليات ـ لأبى البقاء الكفومى (٨١٨/١) وجواهر البلاغة للهاشمي (١٦/١).

(٢) انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه (١٣١/١) والعمدة في محاسن الشعر وآدابه (١٦٩/١) وتحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (١٤/١) وتراجم شعراء موقع أدب (١٥١/٢١) وتاج العروس (٧٨٦٧/١) ولسان العرب (٤٩٦/١٢) والإيضاح في علوم البلاغة (١٢٠/١).

باب المذهب الكلامي[١]

وهو أن يأتي البليغ على صِحَّة دعواه، وإبطال دعوى خصمِه بحجَّةٍ قاطعة، على طريقة أهل الكلام، كقوله:

بِرُوحِيَ خَوْدٌ يُخْجِلُ الغُصْنَ قَدُّهَا كَظَبْيِ المُصَلَّى لَفْتَةً وَنِفَارَا

وَلَوْ لَمْ تَكُنْ أَبْهَى مِنَ الشَّمْسِ بَهْجَةً لَمَا صَيَّرَتْ جُنْحَ الظَّلامِ نَهَارَا

أي: لكنَّها صيَّرتْ الظلام نهارًا، فينتج أنَّها أبهى من الشمس.

وقول ابن المعتز:

كَيْفَ لا يَخْضَرُّ عَارِضُهُ وَمِيَاهُ الحُسْنِ تَسْقِيهِ؟!

---

(١) هو أنْ يوردَ المتكلِّم على صحة دعواه حُجَّةً قاطعةً مسلَّمةً عند المخاطب، بأنْ تكونَ المقدماتُ بعدَ تسليمِها مستلزمةً للمطلوب، كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٢]،واللازمُ وهو الفسادُ باطلٌ، فكذا الملزومُ وهو تعددُ الآلهةِ باطلٌ، وليس شيءٌ أدلَّ على ذلك من الحقيقةِ والواقعِ،وكقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى..﴾ [سورة الحج: ٥]، ونحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ..﴾ [سورة الروم: ٢٧]، أي وكلُّ ما هو أهونُ عليه فهو أدخلُ تحتَ الإمكانِ، فالإعادةُ ممكنةٌ.

وسمِّيَ هذا النوعُ بالمذهبِ الكلاميِّ لأنه جاء على طريقةِ علمِ الكلامِ والتوحيدِ، وهو عبارةٌ عن إثباتِ أصولِ الدينِ بالبراهينِ العقليةِ القاطعةِ.

انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه (٨٧/١) وتحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (١٠/١) وتحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (١٢١/١) ونهاية الأرب في فنون الأدب (٣٠١/٢) والإيضاح في علوم البلاغة (١١٦/١) والبديع لابن المعتز (١٤/١) ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص (٢٥٩/١) وجواهر البلاغة للهاشمي (١٥/١) وعلم البلاغة الشيرازي (٦/١).

أي: لكن مياه الحُسن تسقيه، فكيف لا يخضر، وفي التنزيل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]؛ أي: لكنَّهما لم تفسدَا، فليس فيهما آلهة إلاَّ الله.

وقال الفرزدق:

لِكُلِّ امْرِئٍ نَفْسَانِ نَفْسٌ كَرِيمَةٌ وَنَفْسٌ يُعَاصِيهَا الفَتَى وَيُطِيعُهَا
وَنَفْسُكَ مِنْ نَفْسَيْكَ تَشْفَعُ لِلنَّدَى إِذَا قَلَّ مِنْ أَحْرَارِهِنَّ شَفِيعُهَا

أي: إذا أَمرتْك الأمَّارة بترك النَّدى، شفعت إليها المطمئنَّة في النَّدى فقبلت، فأنت أكرم النَّاس.

باب التجريد(١)

(١) لغةً إزالةُ الشيء عن غيره.

واصطلاحاً: أنْ ينتزع المتكلِّم من أمر ذي صفةٍ أمراً آخرَ مثله في تلك الصفةِ مبالغةً في كمالِها في المنتزَعِ منه، حتى أنه قدْ صارَ منها بحيثُ، يمكن أنْ ينتزَعَ منه موصوفٌ آخرُ بها،

وأقسامُ التجريدِ كثيرةٌ منها:

أ - ما يكونُ بواسطةِ مِنْ التجريديةِ، كقولك: لي «مِنْ» فلانٍ صديقٌ حميمٌ، أي بلغَ فلانٌ من الصداقةِ حدًّا صحَّ معه أنْ يستخلصَ منه آخرُ مثلهُ فيها.

ونحو قول الشاعر:

ترى منهمُ الأسدَ الغضابَ إذا سطوا وتنظرُ منهم في اللقاءِ بدورا

ب - ما يكونُ بواسطةِ «الباء» التجريديةِ الداخلةِ على المنتزَعِ منهُ،نحو قولهم: لئنْ سألتَ فلاناً لتسألنَّ به البحرَ، بالغ في اتصافِه بالسماحةِ، حتى انتزعَ منه بحراً فيها. و نحو: (شربتُ بمائها عسلاً مصفًّى...). فكأنَّ حلاوةَ ماءِ تلكِ العين الموصوفةِ وصلتْ إلى حدٍّ يمكنُ انتزاعُ العسلِ منها حينَ الشُّربِ.

ج -ما لا يكونُ بواسطةٍ، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [سورة التوبة:١٢]، وكقوله: (وسألتُ بحراً إذ سألتُه) جرّدَ منه بحراً من العلمِ، حتى أنه سألَ البحرَ المنتزَع منه إذْ سألهُ.

د -ما يكونُ بطريقِ الكنايةِ، كقول الأعشى:

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ الْمَطِيَّ ولَا يَشْرَبُ كَأْساً بِكَفِّ مَنْ بَخِلَا

هـ - أنْ يكونَ المخاطَبُ هو نفسَه، كقول المتنبِّي:

لا خَيْلَ عِندَكَ تُهْديهَا وَلا مالُ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إنْ لم تُسعِدِ الحالُ

فإنّه انتزعَ وجرّدَ منْ نفسِه شخصاً آخرَ وخاطبَه فسمِّي لذلك تجريداً، وهو كثيرُ في كلام الشعراءِ.

انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (١/١٤٦) ونهاية الأرب في فنون الأدب (٢/٣١٣) والإيضاح في علوم البلاغة (١/٩٦) المعجم الوسيط (١/٢٤٠) والخصائص (١/٢٣٥) وكتاب الكليات ـ لأبى البقاء الكفومى (١/٤١٥) وجواهر البلاغة للهاشمي (١/١٥) وعلم البلاغة الشيرازي (١/٦)

وهو أن يَنزع من أمرٍ ذي صفة آخرَ مثلَه فيها؛ مبالغةً في كمالها فيه، نحو: لي من فلان صديق حميم؛ أي: بلغ من الصداقة حدًّا صحَّ معه أن يستخلص منه آخرَ مثله فيها، وكقولهم: لئن سألتَ فلانًا لتسألنَّ به البحر، بالغَ في اتِّصافه بالسَّماحة، حتَّى انتزع منه بحرًا في السماحة، وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ [فصلت: ٢٨]؛ أي: في جهنَّم، وهي دار الخلد، ومنه مخاطبة الإنسان نفسه، كقوله:

لا خَيْلَ عِنْـدَكَ تُهْدِيهَا وَلا مَالُ

وقوله:

أَمِـنْ تَـذَكُّرِ جِيـرَانٍ بِـذِي سَـلَمِ مَزَجْـتَ دَمْعًـا جَـرَى مِـنْ مُقْلَـةٍ بِـدَمِ

باب الاستخدام

هو أن يُراد بلفظ له معنيان أحدُهما ثم بضميره المعنى الآخر، أو يُراد بأحد ضميريه أحدهما، ثم بالآخَرِ الآخرُ، كقوله:

إِذَا نَـزَلَ السَّـمَاءُ بِـأَرْضِ قَـوْمٍ رَعَيْنَـاهُ وَإِنْ كَـانُوا غِضَـابَا

وقول البحتري:

فَسَقَى الغَضَى وَالسَّاكِنِيهِ وَإِنْ هُمُ شَبُّوهُ بَيْنَ جَوانِحِي وَضُلُوعِي

فالغضى يحتمل الموضع، والشَّجر، والسُّقيا صالحة لهما، وضمير الساكنيه للموضع، وضمير شبوه للشجر.

والفرق بينه وبين التورية: أنَّ التوريةَ استعمالُ أحد المعنيين من اللَّفظة، وإهمال الآخر، والاستخدام استعمالها معًا.

ومنه أن يُؤتى بلفظ له معنيان متوسطًا بين لفظين، يستخدم لكلٍّ منهما معناه، كقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ﴾ [الرعد: ٣٨-٣٩]، فكتاب يُراد به الوقت، ويُراد به المكتوب، وقد توسَّط بين أجل ويمحو، فباعتبار الأجل يراد به الوقت، وباعتبار يمحو يُراد به المكتوب.

ومن أنواع البديع

نفي الشيء بإيجابه[1]:

وهو أن ينفي ما هو من سبب الشيء، كوصفه والمقصود في الحقيقة نفي ذلك الشيء، نحو: ﴿لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]، نفى الإلحاف والمقصود نفي المسألة ألبتة، قيل: وعليه إجماع المفسِّرين.

ونحو: ﴿وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] نفى طاعة الشَّفيع، والمقصود نفي الشفيع أصلاً، وكقولك لمن تريد أن تسلبه الخير: ما أقل خيرَك، فظاهره يدلُّ على إثبات خير قليل، والمراد نفي الخير: كثيره وقليله.

---

(١) هو أنْ يثبتَ المتكلِّم شيئاً في ظاهرِ كلامهِ وينفيَ ما هو منْ سببه مجازاً، والمنفيُّ في باطنِ الكلامِ حقيقةً هو الذي أثبتهُ، نحو قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [سورة النور: ٣٧]. فإنَّ نفيَ إلهاءِ التجارةِ منهُم، إثباتاً لهم، والمرادُ نفيُها أيضاً. فإذا تأملتَه وجدتَ باطنَهُ نفياً، وظاهرَه إيجاباً

وكقول الشاعر للخليفةِ:

لـم يُشغَلْكَ عنِ الجهادِ مكاسبٌ ترجـــــو ولا لهـــــوٌ ولا أولادُ

فإنه يوهمُ إشغالَ المكسبِ له في الجملةِ - كما في الأولادِ - مع أنهُ لا كسبَ للخليفةِ.

انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه (١/١٣٦) وتحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (١/٧٤) ونهاية الأرب في فنون الأدب (٢/٣١٥) وجواهر البلاغة للهاشمي (١/١٦) وعلم البلاغة الشيرازي (١/٦).

والسلب والإيجاب[1]:

وهو أن يثبت الشيء من جهة، ويُنْفَى من جهة أخرى نحو: ﴿فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، ونحو:

وَالعَـاذِلُونَ بِإِيجَـابِ المَـلامِ غَلَـوْا وَمَـا غَلَـوْا قِيمَـةً مِـنْ سَـلْبِ ذَوْقِهِـمُ

أثبت غلوَّهم إلى تجاوزهم الحدَّ من جهة اللوم، ونفاه من جهة قيمتهم وقَدرِهم.

---

(١) هو أنْ يقصدَ المتكلِّمُ تخصيصَ شيءٍ بصفةٍ فينفيها عن جميعِ الناسِ، ثم يُثبتُها له مدحاً أو ذماً، فالمدحُ كقول الخنساء:

مـا بلغـتْ كـفُّ امـرئٍ متنـاولٍ من المجد إلاَّ والـذي نلـت أطـولُ

ولا بلغَ المهدون في القول مدحةً وإنْ أطنبـوا إلاّ الـذي فيـك أفضـلُ

فقصدَ أبو نواس أخذ معنى الثاني من البيتينِ فلم يتهيأْ له أخذهُ إلا في بيتينِ، وقصَّرَ عنه بعد ذلك تقصيراً كثيراً، وناهيكَ بأبي نواس، وذلك أنه قال:

إذا نحْـنُ أثْنَينـا عليـكَ بصـالحٍ فأَنـتَ كمـا نُثني وفـوق الـذي نثْني

وإن جَـرَت الألفـاظُ يومـاً بِمِدْحَـةٍ لغيـركَ إنسـاناً فأنْـتَ الـذي نَعْنـي

والذمّ، كقول بعضهم:

خُلقـوا ومـا خُلقـوا لمكرُمـة فكـأنهم خُلقـوا ومـا خُلقـوا

رُزقـوا ومـا رُزقـوا سـماحَ يـدِ فكأنمـا رُزقـوا ومـا رُزقـوا

انظر: نقد الشعر (٢٥/١) وتحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (١٣١/١) ونهاية الأرب في فنون الأدب (٢٩٧/٢) وكتاب الكليات ـ لأبى البقاء الكفومى (٨١٠/١) وجواهر البلاغة للهاشمي (١٦/١).

والترشيح:

وهو لفظ يذكر لتهيئةِ نوع من البديع: استعارة، أو تورية، و طباقًا أو غير ذلك، كقوله:

وُكَلَّمَا نَسَجُوا حَوْكًا بِوَشْيِهِمُ عَنِّي لَهُمْ رَشَّحُوهُ بِاخْتِرَاعِهِمُ

فالترشيح هنا في التورية والاستعارة، فالوشْي تورية؛ لأنَّ له معنيين أحدهما الثوب المنمَّق المخطَّط، والثاني الكلام الذي ينقلُه الواشي، وذِكْر النَّسج والحوك الذي هو من لوازم الأوَّل ترشيح له، والنَّسج والحوك استعارةٌ من حقيقته إلى الكلام المنمَّق.

obeikandi.com

الخاتمة

قد أحببتُ أن أذكر هنا نصيحةً نافعة، وزبدةً لامعة، وإن كنتُ في ذلك كمَن يصف الدَّواء ولا يستعمله، ويأمر بالمعروف ولا يستَمْثِله، غير أنّي أنهج الطَّريق، وأحضُّ على التوفيق:

ينبغي لك أيُّها الناظم والناثر أن لا تُكرِه الخاطرَ على وزن مخصوص، ورويّ مقصود، وتوخَّ الكلام الجزل دون الرَّذْل، والسَّهْل دون الصَّعب، والعَذْب دون المستكرَه، والمستحسن دون المستهجَن، واجعل الألفاظَ جزلةً فصيحة، وعربيَّةً سمحة فسيحة، تحكي سلاستها رقَّة الماء، وصفوة الهواء، ولا تعمل نظمًا ولا نثْرًا عندَ الملل والضَّجَر؛ فإنَّ الخواطِرَ ينابيعُ إذا رُفق بها جمعت، وإذا عنِّف عليها نزحتْ، واكتب كلَّ معنًى يسنح، وقيِّدْ كلَّ فائدة تعرض؛ فإنَّ نتائج الأفكار تعرض كلمحِ البرق ولمحة الطَّرْف، والترنُّم بالشعر ربما يُعين عليه.

وعن الفرزدق أنَّه قال: "لقد يمر عليَّ الزمن وإنَّ قلْع ضرس من أضراسي لأهونُ عليَّ من أن أقول بيتًا واحدًا من الشِّعر، وإيَّاك وتعقيدَ المعاني وتقعيرَ الألفاظ، واعمل في أحبِّ الأغراض إليك، وفيما وافق طبعَك؛ فالنفوس تُعطي على الرَّغبة ما لا تُعطي على الرَّهبة، وأشعر القصيدة أوَّلاً، ونقِّحْها ثانيًا، وكرِّر التَّنقيح، وعاود التَّهذيب، فقد كان الحطيئة يعمل القصيدةَ في شهرين ويُنقِّحها في شهرين اقتداءً بزهير، فإنَّه كان راويتَه، وقد كان زهير يعمل القصيدةَ في شهر واحد، وينقِّحها في حَوْل كامل، حتَّى قيل لشعره: المنقَّح الحَولي".

وعن البحتري أنَّه قال: "كنتُ في حداثتي أروم الشِّعر، وكنتُ أرْجِع فيه إلى طبعٍ سليم، ولَم أكن وقفتُ على تسهيل مأخذه، فقصدتُ أبا تمَّام، فقال لي: يا أبا عُبادة، تخيَّرِ الأوقات وأنت قليل الهموم، صِفر من الغموم، واخترْ

وقت السَّحَر؛ فإنَّ النفس قد تكون أخذتْ حظَّها من الرَّاحة، وقسْطها من النوم، وخفَّ عنها ثقلُ الغذاء، وصَفَا من أكثر الأبخرة والأدخنة جسمُ الهواء، ورقَّت النَّسائم، وتغنَّت الحمائم.

وتغنَّ بالشِّعر واجتهد في إيضاح معانيه، فإن أردتَ النسيب، فاجعل اللَّفظ رقيقًا والمعنى رشيقًا، وأكثِر فيه من بيان الصَّبابة، وتوجُّع الكآبة، وقلق الأشواق، ولوعة الفراق، والتعلُّل باستنشاق النسائم، وغناء الحمائم، والبروق اللامعة، والنجوم الطَّالعة، والتبرُّم بالعذَّال والعواذِل، والوقوف على الطَّلل الماحل.

وإذا أخذتَ في مدح سيِّد ذي أياد، فأشْهِرْ مناقبَه، وأظهر مناسبه، وأَبِنْ معالمَه، وشرِّف مقاومه، وأرْهِفْ من عزائمه، ورغِّب في مكارمه، وتقاصَّ المعاني، واحذرِ المجهول منها، وإيَّاك أن يشين شعرك بالعبارة الرزيَّة، والألفاظ الوحشيَّة، وناسبْ بين الألفاظ والمعاني في تأليف الكلام، وكن كأنَّك خيَّاطٌ تقدِّر الثياب على مقادير الأجسام، وإذا عارضكَ الضجر فأرحْ نفسك، ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب، واجعل شهوتك لقول الشِّعر الذَّريعة إلى حُسن نظمِه؛ فإن الشهوة نِعْمَ المعين". انتهى.

واعلم أنَّ من النَّاس مَن شِعرُه في البديهة أبدعُ منه في الرويَّة، ومنهم بالعكس، ومنهم مَن إذا خاطب أبْدع، وإذا كاتبَ قصَّر، ومنهم بضدِّ ذلك، وقد يبرز الشَّاعر في معنى من معاني مقاصد الشِّعر دون غيره،؛ ولهذا قيل: أشعر النَّاس: امرؤ القيس إذا ركب، وزهيرٌ إذا رَغِب، والنابغة إذا رَهِب، وعنترة إذا كَلِب والأعشى إذا طَرِب، واحذر إذا كاتبتَ من الإسراف في الشُّكر؛ فإنَّه يوجِب للكلام ثقلاً، ولا تطلِ الدُّعاء؛ فإنَّه يورث ملالاً، ولا تجعل كلامك مبنيًّا على السَّجع كله، فتظهر عليه الكُلفة، وربَّما استدْعى إلى

ارتِكاب المعنى السَّاقط، واللَّفظ النازل، بلِ اصرفْ كلَّ النظر إلى تجويد الألفاظ وصِحَّة المعاني، واجتهد في تقويم المباني.

فإن جاء الكلام مسْجوعًا عفوًا من غير قصْد، وتشابهت مقاطعه من غير كسب فهو غاية المراد، وإن عزَّ ذلك فاترُكْه، فقد كان المتقدِّمون لا يحتفلون بالسجع جملة، ولا يقصدونه بتة إلاَّ ما أتت به الفصاحة في أثناء الكلام، واتَّفق من غير قصد، وإنَّما كانت كلماتُهم متوازنة، وألفاظُهم متناسبة، ومعانيهم ناصعة، وعبارتُهم رائقة، وفصولُهم متقابلة، وجمل كلامهم متماثلة، وتلك طريقة أمير المؤمنين علي، ومَن اقتفى أثرَه كابن المقفَّع، وسهل بن هارون، وإبراهيم بن العباس والحسن بن سهل، وعمرو بن مسعدة، وأبي عثمان الجاحظ.

ولا تجعلْ كلَّ الكلام شريفًا عاليًا، ولا وضيعًا نازلاً، بل فصِّله تفصيل العقود؛ فإنْ العقد إذا كان كله نفيسًا لا يظهر حسن فرائده.

واعلم أنَّ الألفاظ أشباح، والمعاني أرواح لا تقوم إلاَّ بقيامها، ولا تنتظم إلاَّ بنظامها، والمعنى الأصيل في اللَّفظ الثقيل بمنزلة الرُّوح الكريمة في النَّفْس اللئيمة تَمَلُّها الأبصار، وتنقبض عنها الأفكار، فإذا قويت الألفاظ فقوِّ المعاني، فإذا أضعفتها فأضعِفْها، واقصدِ القوافي السَّهلة المستحسنة دونَ المستصعبة المستهْجَنة، والأوزان الحلوة المستعملة دون المهجورة الكزَّة، واجعل كلامَك كلَّه كالتوقيعات، وعليك بالمقطَّعات؛ فإنَّها في القلوب أحلى وأكمل، وفي المجالس أشرق وأجْول، ولم تزلِ الأجلاَّء المتقدِّمون يَحمَدون ذلك ويذمُّون ما سواه، قال أحمد بن يوسف الكاتب:

دخلت يومًا على المأمون وفي يده كتاب، وهو يعاود قراءتَه تارةً بعد أخرى، فتفكَّرْت في ذلك فالتفتَ إليَّ وقال: يا أحمد، أراك مفكِّرًا، إنَّه لا

مكروه في الكتاب، ولكنِّي قرأت فيه كلامًا وجدتُه نظير ما سمعت الرَّشيد رحِمه الله يقوله في البلاغة.

فإنِّي سمعته يقول: البلاغة التباعُد من الإطالة، والتقرُّب من البغية، والدلالة بالقليل من اللَّفظ على الكثير من المعنى، وما كنت أتوهَّم أنَّ أحدًا يقدِر على ذلك، حتَّى قرأتُ هذا الكتاب، ورمى به إليَّ وقال: هذا كتاب عمرو بن مسعدة إلينا، قال: فقرأتُه فإذا فيه: كتابي إلى أمير المؤمنين، ومَن قِبَلي من قُوَّاده، وسائر أجناده، في الانقِياد والطَّاعة على أحسنِ ما يكون عليْه طاعةُ جند تأخَّرت أرزاقُهم، وانقياد كافَّةٍ تراخت أُعطياتُهم، فاختلَّت لذلك أحوالُهم، والْتاثَتْ معه أمورهم، فلمَّا قرأتُه قال لي: يا أحمد، إنَّ استحساني لهذا الكلام بعثني على أن أمرْتُ للجُند قِبَله بعطياتهم لسبعة أشهر، وأنا على مجازاة الكاتب بما يستحقُّه محلُّه من صناعته.

وفي هذا القدر كفاية لِمَن تدبَّره، والله أعلم.